تمهيد: تقع الجزائر في الشمال الغربي لقارة إفريقيا، يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط، ومن الشرق إيالة تونس، وصحراء ليبيا في الجنوب الشرقي، ومن الجنوب بلاد السودان (النيجر، المالي وموريتانيا..)، ومن الجهة الغربية مملكة مراكش وصحراء واد الذهب من الجنوب الغربي، تنقسم طبيعتها الجغرافية الى ثلاث مناطق: منطقة التل المحاذية للبحر الأبيض المتوسط، المنطقة السهبية والمنطقة الصحراوية، يسودها ثلاثة مناخات: مناخ البحر الأبيض المتوسط، المناخ القاري، المناخ الصحراوي.

أما بخصوص التسمية فقد ورد في المصادر العربية لفظ "جزائر بني مزغناي"، وبعد مجيء العثمانيين أطلقوا عليها اسم "جزائر غازية"، أهم مدنها: مدينة الجزائر، قسنطينة، بجاية، المدية، تلمسان، وهران...، توافد على المنطقة عدة شعوب في فترات حرب وسِلم منهم: الفنيقيين، القرطاجيين، الرومان، الوندال، البيزنطيين، العرب الفاتحين، وظهرت بها عدة دويلات: الرستمية، الحمادية، الزيانية...، وبعدها تعرضت للتحرشات الاسبانية.

أصبحت الجزائر ايالة عثمانية منذ سنة 1518م، حيث مرّ الحكم العثماني بأربعة مراحل (عهد البيلربايات، عهد الباشوات، عهد الاغوات، عهد الدايات)، وقسمت الى ثلاث بايلكات (بايلك الشرق، بايلك التيطري، بايلك الغرب) ودار السلطان، حيث دام الحكم العثماني بالجزائر أكثر من ثلاثة قرون.

1- مكونات المجتمع الجزائري الحديث: عبارة عن خليط من السكان تربطهم مصالح مشتركة وهم:

أ- **سكان المدن:** كانوا يمثلون الأقلية (10%) منهم:

- **الأتراك:** يحتلون قمة الهرم، ويمثلون أعلى السلم الاجتماعي إذ بيدهم سلطة البلاد.

- **الاعلاج (المماليك):** هم من أصول أوربية مسيحية، جُلبوا عن طريق الأَسر، لكنهم اعتنقوا الإسلام واندمجوا في الفئة التركية، حيث ارتبط وجودهم بنشاط البحرية الجزائرية.

- **الكراغلة:** وهي الفئة المولدة بين آباء أتراك وزوجات محليات (جزائريات).

- **الحضر:** و تضم هذه الفئة كل من العلماء، التجار ، الصناع و أصحاب الحرف...، كما تتألف أساسا من المجموعات السكانية القاطنة بالمدينة بشكل دائم، ومن أهم العناصر المشكلة لهذه الفئة : الجالية الاندلسية و طبقة الاشراف...

- **البرانية (الاهالي):** هم سكان المدينة المؤقتون أي الوافدون بغرض البحث عن العمل ومنهم: البسكريون، الميزابيون و الاغواطيون.....

- **أهل الذمة:** هم فئة اليهود **(لعبوا دورا كبيرا في مجال التجارة)** بالإضافة الى الأسرى المسيحيين، القناصل، التجار...

ب- **سكان الأرياف**: كانوا يمثلون الأغلبية الساحقة (90%) منهم:

– **قبائل المخزن**: وهي القبائل المتعاونة مع السلطة، لعبت دور الوسيط بين الأهالي والحكام.

– **قبائل الرعية**: تمثل غالبية سكان الريف الذين يمارسون الزراعة، وكانت خاضعة بشكل كامل للسلطة الحاكمة (الضرائب) ، و لم تحظى باي امتيازات.

– **القبائل المتحالفة**: تمثلها الأُسر والعائلات الكبرى، حيث كانت تقوم بدور الوساطة بين القبائل المتمردة والسلطة الحاكمة.

– **القبائل المستقلة (الممتنعة)**: كانت تستقر في المناطق الجبلية الحصينة، مما شجعها على الامتناع عن تقديم المطالب المخزنية لسلطة البايلك.

2- مظاهر الحياة الاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني:

– **اللباس**: حيث كانت ملابس الاتراك والكراغلة مزينة بحواشي من ذهب وفضة أو حرير، وتتمثل في سراويل عريضة مصنوعة من القطن وقميصا من الكتان والقفطان، وكان لباس المرأة الحايك الذي يتكون من قميص صغير وسروال نحو الأسفل وثوب من الحرير، أما المرأة الريفية فكان لباسها مصنوع من الصوف وترتدي قناعا على وجهها، لقد كان البرنوس اللباس التقليدي للرجال بالإضافة الى القندورة.

– **الغذاء**: كان الطعام الرئيسي الكسكس بالإضافة الى الحساء والبقوليات، التمور واللبن، اما اللحم كان محتكرا من طرف الفئة الحضرية، كذلك الحلويات وشرب القهوة والشاي في المناسبات.

– **الاحتفالات**: تنوعت الاحتفالات في المجتمع الجزائري منها الدينية : كالاحتفال بالمولد النبوي الشريف، رمضان ، عاشوراء، ليلة القدر، عيدي الفطر و الاضحى...، كانت لها طقوس مميزة كقراءة القرآن و صلاة التراويح ، ارتداء الألبسة الجديدة و صناعة الحلويات...،كما كانت تجرى في هذه المناسبات ألعاب شعبية، أما الاجتماعية فتمثلت في : الخطبة، الزواج، الختان، العقيقة...، حيث في الأرياف كانت تقام بطريقة بسيطة و غير مكلفة، أما في المدن فقد كانت أكثر تكليفا و تستمر الاحتفالات الى سبعة أيام.

3- الحالة الصحية:

– **الامراض و الأوبئة**: وصلت الى الجزائر عدة أمراض سريعة الانتشار و العدوى من الأقطار المجاورة لصلتها بالعالم المتوسط، وكانت تنتقل إما عن طريق الحجاج و الطلبة الوافدين من المشرق أو التجار الاوربيين و الجنود الانكشاريين، او

عن طريق المستنقعات، الحروب، الكوارث الطبيعية...،ومن أشهر الامراض و الاوبئة في تلك الفترة : مرض السل، الحصبة، التيفوس، الجذري ، حمى الملاريا، وباء الطاعون، الكوليرا، داء العيون...، حيث عرفت المنطقة انتشار الأوبئة في سنوات: (1661- 1664)،1669، (1784- 1787)، (1792- 1799)، (1817- 1822)، لم يهتم الحكام بإنشاء المستشفيات و المرافق الصحية و عدم الاخذ بنظام الوقاية الصحية المعروفة بالكرانتينا (ما عدى صالح باي الذي فرض حصار صحي على مدينة قسنطينة عام 1787م) ، حيث كان يسهر على علاج الطبقة الحاكمة أطباء أوربيين (الاسرى)، لكن عامة الناس كانت تداوي بالأعشاب أو الشعوذة و السحر و الكي، أو اللجوء الى الحمامات المعدنية.

– **المجاعات والكوارث الطبيعية**: تضرر المجتمع والاقتصاد الجزائري بحلول المجاعات والقحط العام الذي صاحبه ارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة في سنوات: (1652- 1657)، (1787- 1789)، 1794، فقد تميز الثلث الأول من القرن 19م بتكاثر المجاعات مثل مجاعة: (1800م- 1807)، (1816- 1819)، (1822- 1824) سببها غزو الجراد على المنطقة، حيث ساعدت الظروف المناخية على انتشار ظاهرة الجراد فقد عانت منه الايالة الجزائرية بشكل مأساوي، فتسبب في المجاعات مما حصد أرواح عدد كبير من الآهالي جراء نقص الغذاء (20%) من السكان.

حيث تعرضت الجزائر الى سلسلة من الهزات الأرضية المتتالية العنيفة، تسببت في خراب وتدمير بعض المدن فتحولت الحواضر الكبرى الى أنقاض، وأقفرت الأرياف وانخفض المستوى المعيشي و هلاك الأرواح و الممتلكات مثل: زلزال مدينة الجزائر عام 1802م، وعانت الجزائر سنوات عديدة من الجفاف خاصة عام 1816م، هذا انعكس على الوضع المعيشي و الديموغرافي، لقد كان عدد سكان الجزائر في تلك الفترة يتراوح ما بين 3500000 و4000000 نسمة، وبسبب تعاقب الكوارث الطبيعية و تكاثر الأوبئة (خاصة الطاعون) أدى الى الانكماش و التراجع الديمغرافي ،على سبيل المثال انخفض عدد سكان مدينة الجزائر من 100000ن (1725م) الى 73000ن (1808م) الى 45000 ن (1830م).

4– الاسرة و المرأة: كانت الاسرة الخلية الأساسية لبناء المجتمع الجزائري، و ركيزة الاسرة هي المرأة التي كانت لها مكانة كبيرة في المجتمع ، حيث كانت في المدن تتقن القراءة و الكتابة و تمتهن عدّة حِرف (الطرز، الخياطة...) ، أما في الأرياف فكانت تقوم بأعمال شاقة لمساعدة اسرتها ، و لقد كانت الأُسر الكبرى (العائلات) تلعب دورا فعالا في تنظيم العلاقات العامة وتسهر على تحقيق الامن الداخلي، حيث كانت لها مكانة علمية مثل " عائلة الفكون"، "عائلة بوعكاز"...

5– الواقع الديني و الثقافي: كانت بالجزائر عدة حواضر و مؤسسات تعليمية ساهمت كثيرا في المجال الديني و الثقافي، فظهرت عدّة زوايا منها: الرحمانية، الدرقاوية، التيجانية، القادرية...حيث لعبت دورا كبيرا في الحفاظ على العقيدة الإسلامية (المذهب المالكي)، و في نفس الوقت كانت المنبع العلمي الذي ينهل منه سكان الجزائر، وكان لها دور اجتماعي حيث كانت تتكفل بالفقراء و المرضى (مرفق صحي) و ملجأ للطلبة، أيضا دور جهادي في سبيل الله...، لكن للأسف تواجدت

بالجزائر طرق صوفية دخيلة منحرفة حيث غرست في المجتمع الجزائري طقوس و عادات منحرفة كزيارة الاضرحة، القبور و الشعوذة...

– كان للتأثيرات الاندلسية و العثمانية انعكاسا مباشرا على المجتمع الجزائري و تجسدت خاصة في: اللغة (الغرناطية و التركية)، اللباس (القفطان و الحرير)، الغذاء (الدولما، البيلاف)، الفن الاندلسي، الاحتفالات، العمران (الحمامات، المقاهي)... ، وعلى الرغم من هذه التأثيرات إلاّ أنّ المجتمع الجزائري بقي محافظا على عقيدته، عاداته و تقاليده.

– كانت طبيعة علاقة الحكام بالسكان متفاوتة حيث مع العلماء، العائلات الكبرى، قبائل المخزن كانت ودية، لأن تلك الفئات كانت تلعب دور الوسيط بين السلطة الحاكمة وعامة السكان وتحظى بامتيازات، أما بقية فئات المجتمع فكانت هناك ثورات وتمردات على السلطة بسبب فرض الضرائب المجحفة التي أثقلت كاهلهم، ومن أشهر ثورات ضد الحكم العثماني: ثورة ابن الاحرش وثورة درقاوة....، هذه الثورات والتمردات على السلطة ساهمت في تدني المستوى المعيشي وأثرت سلبا على المجتمع الجزائري الحديث.